تفريغ المجلس (٠٢٥)

" تتمة الباب السادس في ذكر الرومان وحكومتهم بالجزائر :

٨ - حدود حكومة الرومان بالجزائر / ٩ - جند الاحتلال / ١٠ - النظام الروماني بالجزائر / ١١ - جمهورية المدن الخمس ج ١ .[١]).

[٨ - حدود حكومة الرومان بالجزائر]

كان من عادة الرومان أن يحدوا ما يفتحون من البلدان إما بحدود طبيعية أو صناعية[٢]: فيحدون بالجبال والاودية أو ببناء جدران أو حفر خنادق وجعل كثبان من الرمل أو التراب خلفها، وذلك اتقاء لهجمات الهاجمين وحفظا لمستعمراتهم أن تروج بها بضائع أجنبية وهم لا يشعرون[٣].

---

[١] إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لهن وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فنواصل قراءتنا هذا الكتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" ونحن في الباب السادس في ذكر الرومان وحكومتهم بالجزائر، انتهينا عند قوله المؤلف (**حدود حكومة الرومان في الجزائر**) يعني أي حد توصل تواجد الرومان في هذا البلد، وقد ذكر المؤلف خلاصة قال (**وخلاصة الكلام ان الرومان لم يستولوا حقيقيا على كل الوطن الجزائري رغم امتداد ايامهم به، وسترى ما ينير لك الحقيقة**).

[٢] يعني إذا دخلوا بلدا جعلوا له حدودا، وعلامات تدل على حدود بلده، إما حدود طبيعية أو صناعية، الطبيعية ما يوجد من المآثر في الطبيعة كالجبال والصخور والمياه.

[٣] يعني يحفظون بلدهم من هجمات غيرهم وحتى لا تُدخل عليهم بضائع فتكسد سوقهم.

وقد كان حد حكومة الرومان بالجزائر في القرن الأول للميلاد يمر شمال أوراس ويجتاز سهول سطيف ومجانة إلى سور الغزلان ثم يتوسع قليلا فيمر بالبرواقية وساحل شلف ويجتاز وادي ميناس إلى ناحية غليزان ووادي سيك. وفي غربي وهران يقترب جدا من البحر وينتهي بمصب نهو ملوية.

وبعد حين اضطر الرومان إلى تقديم الحدود جنوبا، وكانت لهم مراكز عسكرية على الحدود. وبعد سنة مائة بقليل تقدمت مراكز الحراسة إلى الجنوب، وأحاطوا جبل أوراس الممتنع عليهم بالحصون. ولم يتم لهم فتحه إلا أواخر القرن الثاني.

وفي بدايه القرن الثالث كان الحد الروماني مارا جنوب أوراس وشاطئ وادي جدي الأيمن ثم يصعد شمالا فيمر وسط جبال الزاب[١] ويقطع وادي الشعير حيث القاهرة، والمظنون أنه يمر بناحية بوسعادة ويشتمل على الحضنة من جهتها الغربية، ثم يذهب إلى قرب سور الغزلان جنوبا، ويمر ببوغار وتيهرت[٢] وتلمسان وللامغنية[٣].

وقد يكون للحرس الروماني نقط حربية خلف الحدود، وقد تقدموا بها في بعض الجهات إلى الصحراء حتى أن منها ما كان على الأغواط بثلاثين ميلا.

ولم يدخل الرومان الصحراء إلا في عمالة[٤] قسنطينة دخلوها من ناحية أوراس. أما عمالتا الجزائر ووهران فليس للرومان فيهما إلا الجهات التلية المعبر عنها بموويطانيا القيصرية، وبقيت الصحراء في منجاة من تسلط الرومان، ذلك لأنهم أولا ليسوا بأمة صحراوية حتى يقدروا على فتح الصحراء أو تشتد رغبتهم في فتحها، وثانيا لم تكن الجهات التلية خالصة لهم فلم يكونوا مطمئنين منها حتى يغرروا بأنفسهم في الصحراء[٥].

---

١ منطقة بسكرة وما حولها. كلها تسمى الزاب الكبير، وأما الزاب الصغير فهو بالضبط بسكرة.

٢ التي هي تيارت.

٣ يعني حدود أقصى الغرب.

٤ العمالة هي المحافظة.

٥ هذا امتداد حدود الرومان، يعني كان تقريبا في الشريط الشمالي، لكن لا يتوغل في الصحراء.

[٩ - جند الاحتلال]

اعتمدت رومة في فتح الشمال الأفريقي على ثلاثة أشياء:

١ - السياسة الملعونة: فقد كانت تذكي نار المنافسة بين ملوك البربر، وتعمل لتفرقة المملكة الواحدة بين الأمراء المتنافسين، وإضعاف الغيرة القومية بمحاربة أبطالها[١].

٢ - الاستعانة ببعض البربر ضد الآخر: فان سياستها لما راجت على بعض رجال البربر من ملوك وأمراء صاروا يخدمونها ويعينونها على أعدائها أحباء الاستقلال. وكلما أرادت رومة رجلا بربريا يخدم مصالحها لم تعدمه، لأن الشعوب لا تخلو من خونة، فكان لرومة ملوك وأمراء بربريون مصافون لها أو مغترون بسياستها أو خائفون من عظمتها[٢]. وقد استفادت رومة من سياستها تلك وإعانة بعض البربر

---

[١] هذا أول شي وهو سياسة فرق تسد كما يصطلح عليها عند البعض، فيثيرون الفتن بين ملوك المقاطعات، والأماكن والعمالات والمحافظات، فإذا كان هناك تنافس اشغل بعضهم ببعض، وخلا له الجو ليفعل ما يشاء، وإذا وجدت في أحدهم غيرة، ونحو ذلك، فتضعفها بمحاربة أبطال الغيرة، من كان له غيرة على بلده وروح الدفاع على البلد والحفاظ على المصالح العامة ولو على حسابه الخاص وصلحته الخاصة لفرط غيرته، فهؤلاء تحاربهم روما، بشتى الطرق، إما بزرع الدعاوى فيهم، أو بقتلهم أو اغتيالهم أو نفيهم أو إبعادهم، أو إلحاق التهم بهم، أو غير ذلك.
والأمر نفسه يتكرر الآن، فالدول التي تسمى دول القوى الكبرى في العالم، تفعل مثل هذا، وهو سياسة استعمارية في ثوب آخر، فيفرقون دولا عظيمة وكبيرة، يثيرون فيها الفتن حتى تنقسم وتصير دويلات، وكل من كان له روح الحفاظ على بلده والدفاع عليها، فإنهم يثيرون حوله الشبه والدعايات، أو يضطرون إلى اغتياله، ونفيه، وحبسه، بطرق ملتوية ومختلفة، وأساليب كما قال الشيخ: السياسة المجنونة.
وهكذا فعل المستعمر من قبل لما قسموا دولة الإسلام الي كانت من الشرق إلى الغرب، حيثما يريد أن يحل ويرتحل الإنسان فأرض الإسلام أرضه، وجعلوا الحدود التي وضعت في زمن قريب ليس بالبعيد، ولم تكن من قبل.
[٢] إما موافقون، وإما غرر بهم، وإما يخافون من قوة روما.

لها فوائد لا تقدر الجيوش الجرارة على تحقيقها، بيد أنها لم تفز بها إلا بعد أزمان لأن مطامعها في الجزائر ابتدأت منذ عصر مصينيسا ولم تستول عليها ذلك الاستيلاء المثقوب إلا بعد بطليموس[١].

٣ - الجند الروماني: فإن رومة مهما اضطرت للحرب جاءت بجنودها والجندي الروماني معروف باخلاص الطاعة والصبر على الأتعاب، ولم تحتج رومة في فتح الوطن البربري الى جيوش كثيرة لأنها لم تجد أمامها جيشا منظما تنظيم جيشها إلا في حرب زامة وحروب يوغورطة وتقفاريناص.

ولم تكن لتأمن وثورات البربر لا سيما واستيلاؤها على الوطن الجزائري غير عام ولا ثابت الأركان. فاتخذت حامية بتبسة تراقب البروقنصلية (تونس) ونوميديا (قسنطينة)، وحامية لمراقبة موريطانيا الشرقية (الجزائر ووهران) وموريطانية الغربية (مراكش).

أما حامية تبسة فتدعى "الفرقة الثالثة الأغسطية" نسبة إلى إغسطس قيصر. وكان بها ستة آلاف جندي وفي رواية (٥٥٠٠) وهذه هي الفرقة الكبرى وهناك فرق أخرى مشاة وفرسان يبلغ جميعها نحو ثلاثة عشر الفا، وهذه الفرق مدد لتلك الفرقة.

وتلك الفرقة الثالثة رومانية من خيرة جنود رومة، وبها كثير من الغاليا، وبعد حين صار الرومان يعلمون البربر ويجندونهم، ومنذ الثلث الثاني من القرن الثاني استغنت رومة بجنود البربر عن جلب الجنود من الخارج إلى الفرقة الثالثة، فصارت هذه الفرقة متركبة من جنود البربر وأبناء قدماء الجنود الرومانية.

وأما الفرق الصغيرة فكانت أيضا تجلب من الخارج، وبقي الأمر كذلك حتى بعد دخول البربر في الفرقة الثالثة.

وفي سنة (١٢٢) نقل الإمبراطور هدريان مركز الفرقة الثالثة من تبسة إلى لمبس، وفي أيام ديوقلطيانس صارت لمبس قاعدة عسكرية للجنوب النوميدي.

---

[١] هذه سياسة أخرى وهي الاستعانة ببعض البربر على بعض، فتأتي بطاعة البربر إما مغترين بها لرومة، أو يخافون منها، فتستعين بهم على إخوانهم، وبذلك يتيسر لها الأمر للاحتلال.

وبطول عهد هذه الفرقة ودخول البربر فيها وكثرة الاضطرابات بروما نقصت طاعتها لروما، وقد تعارض في امبراطورية بعض، وتؤيد بعضا. والغيت سنة (٢٣٨) وعوضت بالفرقة الثانية والعشرين.

وأما حامية الموريطانيين فكان عددها نحو خمسة عشر ألفا. وهي من البربر المخلصين لرومة.

فمجموع جيش الاحتلال بتونس والجزائر ومراكش نحو (٣٤٠٠٠) ليس به من الجنود الرومانية غير نحو (٨٠٠٠)[١].

الجنود الرومانية تحارب وقت الحرب وتشتغل بالفلاحة حين السلم. يسمح القانون الروماني للجندي بالزواج، وكانت لهم مرتبات حسنة، والمتقاعد يعطى كفايته ويسكن قرب المركز الذي كان به، ويمنح أراضي وحيوانات يقوم بخدمتها، ويعفى من الضرائب لكن بشرط أن يحل أحد من أبنائه محله.

وبهذه الطريقة أصبحت الحدود عبارة عن مستعمرات من الجند تحول دون غارات الهاجمين، وكان خط الحدود مقسما إلى أقسام كل قسم تحت حراسة ضابط.

وفي حوالي سنة (٢٠٠) إذن الإمبراطور سبتمس سورس للجنود بالبقاء مع أزواجهم خارج المراكز العسكرية بصفة مستمرة. فصارت تلك المراكز اما مواضع لتمرين الجند وأما مختزنات للسلاح والمؤن.

ولحسن ذلك النظام في حفظ الحدود بقي الحد الروماني الذي بلغوه في القرن الثالث بحاله رغم الثورات المتعددة داخله، واستمر غير متأثر بما يجري داخل المملكة حتى سقط الحكم الروماني من الجزائر[٢].

---

[١] تُجنّد أهل البلد.

[٢] هذه الجنود التي كانت تتخذها، الجند الثالث وهو الجند الروماني كان في البداية من جند الرومان، ثم أدخلوا فيه شيئا من جند البربر، ثم تكاثر عدد البربر حتى كان الغالب لهم، وهم ممن يوافقون ويصافون الرومان.

وكان عندهم هذه السياسية وهي: الإذن للجند بالزواج، وأن يبقى في مكانه، وله إتاوات أي عطايا، حتى لا يشغله ذلك عن قتاله، والبقاء في الحامية التي تحمي حدود بلد الرومان، وهذا من الأهمية بمكان بالنسبة للجند، حتى يقوم بعمله على التمام، أي يراعى له حاله العائلي، والاجتماعي، ولهذا عمر ﵁ بينما هو يجول في المدينة في أحد الأيام، فسمع ليلا كلاما من امرأة تنشد شعرا فسأل عنها من غد، فقيل له: إن زوجها خرج للجهاد والقتال في سبيل الله، وقد طال ذلك أشهر، فأمر ﵁ عند ذلك وجعل أمرا وهو أن الجندي إذا خرج لا يجاوز أربعة أشهر حتى يرجع إلى أهله ويبقى مع أهله، ثم يخرج ثانية.

[١٠ – النظام الروماني بالجزائر]

علمت أن استيلاء الرومان على الجزائر كان تدريجيا وغير ثابت الأركان، لذلك لم يستقر النظام الروماني بالجزائر على حال.

كان ما أخذه الرومان من نوميديا- على عهد يوليوس قيصر- تحت ولاية سالوست، وبقيت نوميديا كذلك لها واليها غير والي البروقنصلية، ومن هؤلاء الولاة سكستيوس نائب أكتافيوس، وأخيرا تغلب على والي البروقنصلية وأضافها إلى ولايته، ثم عزل على عهد اكتافيوس نفسه وجعل مكانه فانغو على نوميديا خاصة، وولي هو على البروقنصلية، فوقعت بين هذين الواليين معارك انتهت بانتصار سكستيوس وقتل فانغو نفسه، وأصبح هذا المنتصر هو الوالي الوحيد بجميع ممتلكات رومة بأفريقية[١].

ثم في عهد امبراطورية اكتافيوس أيضا سمي يوبا الثاني على نوميديا. ثم نقل منها إلى موريطانيا سنة (١٧) وأضيفت نوميديا إلى البروقنصلية وجعلتا تحت عامل يسميه مجلس الشيوخ[٢].

وفي سنة (٣٧م) على عهد غليقلا تركت البروقنصلية على نظامها العتيق وجعلت نوميديا ذات وحدة ادارية يرأسها ضابط عسكري في رتبة عضو بمجلس الشيوخ. وهذا الوالي يخاطب رومة من غير واسطة، وهو تحت نظر الأمبراطور ويلقب ليغاتوس.

وفي سنة (٤٢م) قسم الأمبراطور قلوديوس الجزائر إلى قسمين:

نوميديا من طبرقة شرقا إلى مساغا غربا، وموريطانيا القيصرية من مساغا شرقا الى ملوشات غربا[٣].

وجعلت موريطانيا القيصرية تحت نظر الأمبراطور يسمي بها العمال ولهم تفويض في الإدارة. وكان لنائب الامبراطور بموريطانيا القيصرية مرتبا يقدر بنحو أربعين ألف فرنك.

---

[١] هنا الكلام عن نظام هذا البلد.

[٢] هذه معلومات مرت معنا.

[٣] قلنا إن تواجد الرومان في الجزائر كان في الشريط الشمالي، ولم يتوغل للجنوب.

وقد كان بالشمال النوميدي مدن مستقلة كما كانت جبال جرجرة ممتنعة عن الرومان[1].

وفي سنة (٢٩٧) بعدما انحلت الصلة بين هذه الجمهوريات، وعمت بها الفوضى، وتغلب ديوقلطيانس على جبال جرجرة حدث تغيير في نظام الحكومة الرومانية بالجزائر فقسمت إلى أربعة أقسام:

١ - نوميديا القرطية (وهي الشمال النوميدي) قاعدتها قرطة.

٢ - نوميديا العسكرية (وهي الجنوب النوميدي) قاعدتها لمبس.

٣ - موريطانيا السطيفية (ما بين مساغا وصلداي) قاعدتها سطيف.

٤ - موريطانيا القيصرية (ما بين صلداي وملوشات) قاعدتها قيصرية[2].

ولما ثبتت قدم قسطنطين بإمبراطورية رومة أحدث سنة (٣٢٣) تغييرا في الولايات الإمبراطورية، فقسمها ثلاثة أقسام كبرى:

ولاية إيطاليا، ولاية الغاليا، ولاية المشرق، وجعل تونس والجزائر تابعتين لولاية إيطاليا، وتداران من طرف واليها المقيم برومة، وهذا الوالي تحته وزراء: وزير للمالية ووزير للأملاك الدولية ووزير للحربية، وكلهم برومة ولهم نواب يمثلونهم بأفريقية: فكان للوالي يمثله قنصل إفريقية، ووزير الحربية يمثله:

١ - كونت إفريقية، وله ١٦ قائدا على الجنود المرابطة بالحدود الجنوبية والفرق المتنقلة (الكونت: عين من الأعيان).

٢ - دون موريطانيا القيصرية وله ٨ قواد. وقد تكون بيد السلطة المدنية (دوق: شريف).

ولم تكن هذه التقاسيم مبنية على اعتبارات جغرافية، وإنما نظر فيها إلى المصالح الحربية، ولذلك تغيرت حسب الظروف.

---

[1] يعني صعبة المنال لا يصلون ولا ينتهون إليهم.

[2] هذه إشارة إلى أن هذه المدن عريقة وقديمة التاريخ.

وبما أن الاستيلاء الروماني لم يكن عاما فقد كانت المدن تنقسم إلى قسمين: مدن تحت السلطة الفعلية للرومان، ومدن لم تتمكن منها اليد الرومانية. والأولى كانت على ثلاث درجات:

١ – مدن رومانية: هذه معتبرة كوطن روماني، أهلها يتمتعون بكل الحقوق الرومانية، ينتخبون ومعفون من الضرائب[١].

٢ – مدن بلدية (MUNICIPES). هذه لها كل الحقوق الرومانية ما عدا الانتخاب[٢].

[١] يعني منها ما تمكنت منه روما ومنها ما لم تتسلط عليه، فالتي تسلطت عليها تسلطا تاما جعلتها على مراتب، وهذا النظام لا يزال في الدول إلى هذا الزمن، يعني بعض الدول تجد مواطنيها على مراتب: المرتبة الأولى لهم امتيازات، والثانية لهم امتيازات، والثالثة وهكذا ...، وبعض الدول تجد مرتبة المواطنة عندهم على قسمين أو ثلاثة، وبعضها على خمسة أقسام، ولكل مرتبة امتيازات غير ما دونها، وهذا الذي فعله المستدمر الفرنسي في الزمن الذي كان هنا، فكان الفرنسيون لهم امتيازات وحقوق ليست للجزائريين، والجزائريون الذين غرر بهم أمثال هؤلاء البربريين الذين نتكلم عنهم، الذين كانوا يحبون وينادون "الجزائر فرنسية"، ويريدون أن يتفرنسوا وأن يتجنسوا بالجنسية الفرنسية، فأيضا تعطى لهم حقوق ومميزات دون الجزائريين الأقحاح، ولكن ليسوا كالفرنسيين، ولهذا كانت لهم مظاهرات، وقالوا: نحن فرنسيون لماذا لا تعطونا كذا وكذا وكذا، ثم تأتي الطبقة الأخيرة التي هي الجزائريون أنفسهم يمنعون من أشياء كثيرة، ليس لهم حق في فعلها، في حين أن غيرهم لهم فيها حق، وهذا من الظلم بعينه.

وتاريخ هؤلاء يعرف الآن حتى وإن كان يدّعون العدل والحكم به، فإن تاريخهم أسود ليس كتاريخ المسلمين، فعندنا في النظام الإسلامي نظام أهل الذمة، ومعاملتهم، لهم معاملة خاصة لكن لا يمنعون من حقوق هي حق لهم، قد يمنعون من أشياء لأنها تصادم الشرع، ولكن الحقوق التي هي ملك لهم فإنهم لا يمنعون منها، حتى أن النبي ﷺ في قوله (لا يبع الأخ على بيع أخيه)[صحيح مسلم ١٤١٣] فمن العلماء من قال إن هذا خرج مخرج الغالب، وليس المقصود قصره على المسلم، يعني لا يجوز أن يبيع المسلم على بيع المسلم، بل قالوا حتى الذمي يدخل، فالمراد لا يجوز أن تبيع على بيع غيرك، بمعنى إذا اتفق اثنان وتراكنا مال كل منهما إلى الآخر في البيعة، فلا يجوز لثالث أن يدخل بينهما، سواء كان البائع والمشتري كلا منهما من المسلمين، أو كان أحدهما ذميا والآخر مسلما، فمن العلماء من حمل الحديث وقال: ليس خاصا بين المسلمين، بل هو للعموم، فقيل: لفظ الأخ يطلق على المسلم، قالوا: هذا خرج مخرج الغالب، المقصود أن هذه المسألة محل خلاف، وإن كان الأظهر أنه لا يبع المسلم على بيع المسلم، لكن من العلماء من قال بمثل هذا.حتى تظهر النظرة العادلة في الإسلام وعند المسلمين، بخلاف ما كان عليه هؤلاء.

[٢] وهذا كان في الزمن الفرنسي فليس للجزائريين أن ينتخبوا.

٣ - مدن لطينية: لها حرية التجارة والتملك، وليس لها حق الانتخاب والإعفاء من الضرائب، وإنما هذان الحقان لخصوص المتقاعد من حكامها.

والثانية[١] كانت على ثلاثة أقسام أيضا:

١ - مدن معتبرة حليفة للرومان[٢].

٢ - مدن حرة.

٣ - مدن معفاة من الخراج[٣]

وهذه الأقسام للنوع الثاني من المدن تختلف ادارتها: فمنها ما هو محافظ على شكل الإدارة البونيقية لها حكام وقضاة ومجالس من الأعيان، ومنها ما هو تحت رؤساء بربريين يعينهم الأمبراطور ويمنحهم رداء يدعى "رداء الولاية" وقد يعطيهم إعانات ويوجب عليهم حراسة ما بجوارهم من الحدود وقد تسمح رومة لبعض هذه المدن بانتخاب مجالس بلدية.

ورئاسة الرؤساء البربريين على بني جنسهم وراثية ويدعون إما عمالا أو أمراء، وقد يلقبون أنفسهم بلقب ملك.

أما المدن الرومانية فكانت تنتخب كل سنة حكامها. وهؤلاء الحكام يتصرفون في مالية البلدة ويقومون بإصلاح القناطر والطرق والبناءات العمومية ويقبضون المغارم ويسهرون على حفظ الأمن العام ويقضون بين الناس.

وإلى جانب الحكام مجلس بلدي يعينهم ويراقب أعمالهم ويشترط في العضو بهذا المجلس أن يبلغ ثروة محدودا أقلها قانونا، وأن يدفع للميزانية البلدية من ماله قدرا من المال، ولا مرتب له[٤].

---

[١] رومة بعد الاستيلاء الروماني، فيه مدن استولوا عليها استيلاء تاما، هذه تقسم إلى ثلاثة أقسام، وفيه مدن لم تتمكن منها لقوة، فهذه ثلاثة أقسام.

[٢] معينة وموافقة.

[٣] الخراج قسط وضريبة مالية تضرب على خراج البلد، سواء من الأرض أو من سائر التجارات، وإن كان الغالب من خراج الأرض.

[٤] يعني عنده حد معين من المال يصله ولا يجاوزه.

وأعضاء هذا المجلس ضامنون في مالية البلدة التي يتصرفون فيها[1]. وإذن فادارة المدن كانت بيد طبقة مثرية قليلة العدد.

وكان نطاق أكثر البلديات واسعا جدا: بلدية هبون (بونة) كانت تمتد غرب المدينة ثلاثين ميلا، وشرقها خمسين ميلا.

وكانت للإمبراطور ورجال من أعيان الشيوخ أملاك واسعة مستقلة عن تراب البلديات. يقوم بحفظ تلك الاملاك وكلاء عن اربابها. والوكيل على أرض هو الحكم على من بها والقائم بحفظ الأمن فيها. ولسكان تلك الأملاك نواب يختارونهم للدفاع عن حقوقهم.

وبهذا تعلم ان الدولة الرومانية لم تكن تتداخل في إدارة شؤون الجزائر الداخلية، ولا مكثرة من المتوظفين الذين لا فائدة فيهم غير اثقال كاهل الميزانية[2]. بل إنها تركت الدوائر البلدية وشأنها تدير أمورها بنفسها، ولم تتخذ من الموظفين إلا العدد القليل للقيام بالشؤون الهامة. وكان الوالي لا يتداخل- بصفة قانونية- في شؤون المدن الرومانية إلا في الخصومات المدنية الهامة والجرائم، فهو الحكم في ذلك، وله مراقبة المالية[3].

---

[1] البلد فيه مال، وهم يضبطون، إذا تلف هذا المال وذهب إلى نواح لا تعرف، فعند المحاسبة يضمنونه ويأتون به.

[2] يعني لا يجعل على العمل خمسة عمال إنما يقوم به واحد، لأن هذ يثقل الميزانية.

[3] هذا النظام الذي كانت تسير عليه روما عند تواجدها في الجزائر.

[١١ - جمهورية المدن الخمس[١]]

كانت قرطة عاصمة الملوك النوميديين منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وقد اعتنى بها بعض أولئك الملوك فرقوها ترقية عالية.

ميلوم (ميلة) وروسقاد (سكيكدة) وشولو (القل) وكويكلوم (جميلة)، هذه المدن يقول عنها المؤرخ بلين: انها كانت أولا قلاعا حربية، وأخذ عمرانها يتسع حتى أصبحت في عهد طرياناس إمبراطور رومة (٩٨ - ١١٧م) شبيهة بقرطة[٢].

وكانت هذه المدن تحت الملك النوميدي، وبعد واقعة طبسوس انفصلت تلك المدن الخمس عن بقية نوميديا حيث أن يوليوس قيصر منحها لستيوس يستعمرها بجيشه المتركب من الإسبان والإيطاليان. واشترط عليه أن يقطنها الرومان، وفي أوليتهم من نصره في حرب أفريقيه من الجنود، ومن ههنا سماها بعض مؤرخي الرومان "مستعمرة ستيوس".

انفصل من عهد ستيوس هذا القسم الواسع الخصب من نوميديا فلم يصر مرتبطا بها في السياسة والإدارة حتى أن يوبا لما ولي على نوميديا لم يعرف له نفوذ بهذا الشمال النوميدي.

وقد كانت قرطة هي العاصمة لهذا الشمال، وتلك المدن الأربع تابعة لها وجزء منها.

ومن القرى التي كانت تابعة لقرطة في النظام والحكم: ثيدي (الخنق)، ارسقال (عين الكرمة)، مستار (عين بني زياد)، وزيلي (وجل)، صدار (عين الباي)، سيلة (سيقوس). وعلى القرى رؤساء منخرطون في سلك متوظفي قرطة، وقد استقل بعضها على عهد سبتمس سويرس وخصوصا على عهد قراقلا.

وبعد استعمار الرومان لهذا الشمال النوميدي بقليل ظهرت تلك المدن الأربع بفضل انتشار العمران، وأصبحت تضاهي قرطة، وأخذت نظاما داخليا مستقلا مع بقائها متعلقة بقرطة.

---

[١] المشهورة التي كانت أثناء تواجد الرومان في الجزائر.

[٢] يعني فيها تقدم وتطور.

وكانت جميلة دون بقية المدن الأربع، بل قليلا ما تضاف إليهن. وسبب امتياز هذا الوطن عن بقية نوميديا واختصاصه بنظام صار به كمملكة مستقلة أنه كان تحت رئاسة ستيوس ناصر قيصر ومغلبه على أعدائه الأقوياء الكثيرين.

وسبب اتحاد قرطة وميلوم وروسقاد وشولو أنه حدث خلاف بين سكان هذه المدن الأربع على بعض الأراضي أيام أغسطس قيصر، وكان القرطيون قد أعانوه على عدوه ومنافسه انطونيوس، فكانت لهم بذلك عليه يد، فلما رفعت صورة الخلاف إليه لم يشأ أن ينصف أهالي المدن الثلاث من أهالي قرطة، ولكنه أصلح بينهم وعقد لهم محالفة رباعية، وجعل لكل مدينة إدارة شؤونها الداخلية على أن يكون لقرطة فضل الأشراف على الجميع، فكل مدينة تضرب الضرائب وتجبي الغرامات وتصرفها في مصالحها، ولكن رئيس قرطة هو المراقب لأعمال سائر المدن، ويساعده في بعضها مجلس بلدي، وفي بعضها مجلس من المتوظفين حيث لم يكن لها حق الانتخاب[1].

---

[1] تلاحظون هنا دائما فيه نظام، يسمونه نظام الضرائب، لأن الدول كانت تعجز عن سد بعض الفراغات، والمستحقات المالية التي تحتاجها في مجالات مختلفة للقيام بشؤون المرافق العامة للبلد، لكن هذه الأشياء لما جاء الإسلام، أتى بنظامه الخاص به المستقل، وهو نظام فيه موارد ومنابع الإتيان بهذا المال الذي يصلح للمرافق العامة، ويصلح لسد حاجيات الناس عموما، ففيه النظم الكثيرة، ومن ذلك نظام الزكاة، والزكاة نظام عظيم، ويترتب عليه جمع أموال، وتعود بالثروة الكثيرة، والزكاة فيها أقسام، فيها زكاة الأموال، وزكاة الأنعام، وزكاة الزروع، وفيه أيضا الركاز وهو ما يحصله أفراد الدولة إذا حفروا مما هو من دفين الجاهلية، سواء كان ذهبا، أو فضة، أو برونزا، أو نحاس ..الخ شيء من دفين أهل الجاهلية، ففيه الخمس كما قال النبي ﷺ، هذا النظام الذي يقوم عليه، وبه، يدرّ الكثير من المال الذي تسد به حاجات عموم الناس.

أضف إلى نظام التجارة الداخلي، ونظام التجارة الخارجية، يعني تبادل التجارات والسلع أضف إليه نظام الوقف، وهذا نظام عظيم جدا لأن فيه ما ينتج عنه يرد على ما جعل الوقف لأجله، أو توقف الأرض، أو الأشجار، أو العقارات، أو المحلات، ويكون عائدها يصرف إلى أصناف من الناس، فتسد به تلك النفقات، هذا أيضا نظام آخر.

وكذلك إذا ضاقت النفقات فحاكم المسلمين يمكن أن يطالب أرباب الأموال، وأصحاب الثروات الأغنياء، ويتقاضى منهم إما عن طريق الدين للدولة، ثم ترده في حينه، أو يلزمون بإعطاء ما يمكن لسد تلك الفراغات التي يحتاج إليها عموم المسلمين.

هذا هو النظام الذي يوفر الكثير مما يعود على سد حاجات عموم المسلمين، أضف إلى ذلك الأصل العظيم وهو الجهاد في سبيل الله، ويترتب على الجهاد في سبيل الله ما يسمى بالمغانم، الأنفال، والفيء، هذه كذلك ترجع وتعاد، وفيها نفع

وتدار هذه المدن المتحالفة على أيدي رجال تنقسم وظائفهم أربعة أقسام:

١ - الرجال الثلاثة (تريومفير). لهم من النفوذ ما لقناصل رومة وينتخبون لمدة سنة فاتحتها يوليه[١]. والمترشح يعلن قبل الانتخاب مباديه، ويرأس جلسة الانتخاب من الرجال الثلاثة المنتخبين سابقا أكبرهم سنا، وهذا الرئيس ينظر في المترشحين واستيفائهم للشروط، ويعلن بقبول اجراء انتخاب المستوفي لها، ومن انتخب لا يقبل تسليمه.

والرجال الثلاثة يتولون قيادة الجيوش وفصل النوازل بأنفسهم أو بمن يقيمونه نائبا عنهم، وبيدهم نظام الإدارة بأسره، وكونهم ثلاثة هو الغالب. وقد يبلغ عددهم أحيانا خمسة أو سبعة أو عشرة أو خمسة عشر أو عشرين، وهم إما من أعيان الرومان أو ممن كان قنصلا برومة[٢].

لعموم المسلمين، فالإسلام نظام قائم وكامل متكامل، سواء في جانب الاقتصاد، أو التجارة أو غير ذلك من الجوانب التي نجدها عند دول أخرى، لكن لبعد المسلمين عن دينهم، وهذا كان له تدبير من الأعداء، فصاروا بعيدين عن تعاليم دينهم.

وفي كثير من القوانين نجدها مسطرة على وفق أحكام شرعية مستنة من أقوال فقهاء في المذاهب الإسلامية، ويجهل المسلمون أن هذا النظام أصلا هو نظام إسلامي صرف، أخذه هؤلاء الأعداء لينظموا به بلدانهم، وإنما أخذوه من المسلمين، لكن لا يصرحون بذلك، يكتمون هذه الحقائق، وكثر من مكتشفاتهم مبنية على اجتهادات المسلمين، ولكن هؤلاء بعد أن يحدثوا إظهار هذه الأشياء لا يصرحون بمن سبقهم إلى هذا الأمر الذي يظهرون أنهم أحدثوه، في حين أنهم مسبوقون، وهذا فيه أشياء كثيرة جدا، [... غير واضح ...] في حين أنه نقلت بعض الكتب، ابن حزم ينقل في كتبه كما ذكر بعض الباحثين، أن الكفيف كان في زمنه يقرأ عن طريق اللمس، وعن طريق المس، ابن حزم متوفى سنة ٤٥٨هـ يعني في القرن الخامس هجري، وذكر ذلك أيضا كما ذكر الباحث الآمدي المتوفى سنة ٦٣١هـ يعني القرن السابع، فالقراءة للكبير من طريق اللمس موجود من قديم، وليس من إحداث من تُنسب إليهم وقل مثل ذلك في أشياء كثيرة جدا.

الحاصل هذه العمالات والمدن الخمس التي تدور عليها، كانت موجودة مشتهرة أثناء وجود الرومان في الجزائر.

[١] يعني جوان.

[٢] هذه المدن عليها هؤلاء الرجال.

٢ - رجال الشرطة (الإيديل). وظيفتهم الخاصة بهم مراقبة البناءات العمومية والحمامات الدولية ودخلها والمحافظة على نظافة الشوارع وجلب الحبوب إلى المدينة وتشكيل الحفلات ومراقبة الأمن بالأسواق والموازين والمكاييل وتأديب المعتدين بالجلد أو بالتغريم.

ويرأس هذه الوظيفة رجلان يضع كل منهما خمسة آلاف ضمانا[١].

٣ - وزير المالية. يقوم باستخلاص المغارم، ويقدم لرجال الشرطة المال عند عروض داع إليه. وهو الرئيس الأعلى لإدارة المالية، ولا يوجد ما يدل على أنه كان ملزما بوضع ضمان عند توليته.

٤ - العمال. كانت وظيفتهم في بلدان الجمهورية ما عدا قرطة، وهم بمثابة الرجال الثلاثة في قرطة، والظاهر أن يكون منهم لكل مدينة واحد، وينتقل العمال في المدن الثلاث من واحدة لأخرى.

وهناك متوظف غير من سبق يلقب "كورتور" (CURATUR) يسميه الإمبراطور. وقوة نفوذه تابعة لقوة نفوذ الإمبراطور في البلد الذي سماه فيه، ولم يكن للأمبراطور قوة في هذه الجمهورية إلا بعد انحلالها ومجيء البيزنطيين، فصارت وظيفته أخيرا قبض الخراج والقيام بجل الوظائف البلدية.

وكما كان لسياسة هذه الجمهورية رجال كان لديانتها أيضا رجال، وهم أقسام[٢]:

١ - القائمون على الهيكل[٣] بذبح قرابينه وتقديمه لناره، وأقدارهم مختلفة باختلاف عظمة الهيكل القائمين عليه، ولا يكون القائم على الهيكل إلا من بيت شريف. ويعتبر هو وذريته وماله وقفا على خدمة ذلك الهيكل[٤].

٢ - المراقبون للأعمال الدينية أينما كانت ما عدا القرابين التي هي أهم تلك الأعمال.

---

[١] يعني ضمانا على المال، حتى إذا كان ذهب المال من هاهنا أو هاهنا يرد من مالهم. وبالتالي لا يفكر أن يسرق.

[٢] يعني الدين الذي كان للرومان في هذا البلد عنده رجال.

[٣] الصنم الذي يعبد

[٤] مثل الفرس فيهم عائلة النار تحرص على أن هذه النار لا تخمد، تبقى دائما مشتعلة.

٣ - العرافون. يتولون أفراخ الدجاج لزجرها ومعرفة الحوادث الغيبية منها[١]. ويتفرسون أيضا في الضحايا[٢]، نظير ما يوجد اليوم في بعض الأفراد من خصوصية معرفة الحوادث بالنظر في عظام أكتاف الحيوانات. فهي من بقايا الوثنية[٣].

---

[١] يعني طلب الغيبيات والدجل والشعوذة عياذا بالله.

[٢] الفراسة وهي أن يصل إلى نتائج وأمور غيبية بحسب ما ينظر ويرى.

[٣] هذا من العرافة وهي لا تجوز، وقد نهى النبي ﷺ عنها وقال (من أتى عرافا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوما، وأما من أتاه وسأله وصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد) [صحيح مسلم ٢٢٣٠]. فالعرافة من الأمور الشركية، عندنا شيء يسمى الفراسة، وقد يكون من الجانب الجائز ولا يعد منهيا عنه أو فيه محذور، والمراد بالفراسة هي التوسم، بناء النتائج على مقدمات كما قال ﷻ {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ }الحجر٧٥، يعني يكون لأهل العلم والتقوى والولاية، والصلاح، يتوسمون في الشخص أشياء يقولها لهم ويحدثهم بها، قد تكون أمورا تأتي لاحقا، ليس رجما بالغيب، وإنما احتمال يظهر لهم بناء على مقدمات، فهذا ليس من الرجم بالغيب.

جاء في حديث وإن كان فيه ضعف لكن حسنه بعض العلماء (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) [أخرجه الترمذي (٣١٢٧)، والبخاري في ((التاريخ الكبير)) (٣٥٤/٧)، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (١٢٩/٤).] وإن كان في الحديث ضعف، لكن العلماء تكلموا عن الفراسة منهم الإمام ابن القيم رحمه الله وهو نور يقذفه الله ﷻ في قلوب الخاصة من الناس العلماء، الأتقياء، الصلحاء، أهل الولاية أولياء الله ﷻ، فقد يرون أشياء، ويقذف في أنفسهم أشياء، وهي نتائج يرتبون عليها مقدمات وليس من باب رجم الغيب.